فالمقصود بهذه الآية ذكر شيء من أمر الآخرة . فيه نذارة وموعظة لجبابرة المشركين من العرب الذين كانوا يحقرون المستضعفين من المؤمنين وفيهم عبيد وفقراء فإذا سمعوا بشارات القرآن للمؤمنين بالجنة سكتوا عمن كان من أحرار المسلمين وسادتهم وأنكروا أن يكون أولئك الضعاف والعبيد من أهل الجنة وذلك على سبيل الفرض أي لو فرضوا صدق وجود جنة فليس هؤلاء بأهل لسكنى الجنة لأنهم ما كانوا يؤمنون بالجنة وقصدهم من هذا تكذيب النبي A وإظهار ما يحسبونه خطلا من أقواله وذلك مثل قولهم (هل ند لكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) فجعلوا تمزق الأجساد وفناءها دليلا على إبطال الحشر . وسكتوا عن حشر الأجساد التي لم تمزق وكل ذلك من سوء الفهم وضعف الإدراك والتخليط بين العاديات والعقليات . قال ابن الكلبي : " ينادي أهل الأعراف وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان " فهؤلاء من الرجال الذين يعرفونهم بسيماهم وكانوا من أهل العزة والكبرياء .

ومعنى (جمعكم) يحتمل أن يكون جمع الناس أي ما أغنت عنكم كثرتكم التي تعتزون بها ويحتمل أن يراد من الجمع المصدر بمعنى اسم المفعول أي ما جمعتموه من المال والثروة كقوله تعالى (ما أغنى عني ماليه) .

و (ما) الأولى نافية ومعني (ما أغنى) ما أجزى مصدره الغناء " بفتح الغين وبالمد " .

والخبر مستعمل في الشماتة والتوقيف على الخطأ .

و (ما) الثانية مصدرية أي واستكباركم الذي مضى في الدنيا ووجه صوغه بصيغة الفعل دون المصدر إذ لم يقل استكباركم ليتوسل بالفعل إلى كونه مضارعا فيفيد أن الاستكبار كان دأبهم لا يفترون عنه .

وجملة (أ هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم ا برحمة) من كلام أصحاب الأعراف . والاستفهام في قوله (أهؤلاء الذين أقسمتم) مستعمل في التقرير .

والإشارة ب (أهؤلاء) إلى قوم من أهل الجنة كانوا مستضعفين في الدنيا ومحقرين عند المشركين بقرينة قوله (الذين أقسمتم لا ينالهم ا برحمة) وقوله (ادخلوا الجنة) قال المفسرون هؤلاء مثل سلمان وبلال وخباب وصهيب من ضعفاء المؤمنين فإما أن يكونوا حينئذ قد استقروا في الجنة فجلاهم ا لأهل الأعراف وللرجال الذين خاطبوهم وإما أن يكون ذلك الحوار قد وقع قبل إدخالهم الجنة . وقسمهم عليهم لإظهار تصلبهم في اعتقادهم وأنهم لا يخامرهم شك

في ذلك كقوله تعالى (وأقسموا با جهد إيمانهم لا يبعث ا من يموت) .

وقوله (لا ينالهم ا برحمة) هو المقسم عليه وقد سلطوا النفي في كلامهم على مراعاة نفي كلام يقوله الرسول A أو المؤمنون وذلك أن بشارات القرآن أولئك الضعفاء ووعده إياهم بالجنة وثناءه عليهم نزل منزلة كلام يقول : إن ا ينالهم برحمة أي بأن جعل إيواء ا إياهم بدار رحمته أي الجنة بمنزلة النيل وهو حصول الأمر المحبوب المبحوث عنه كما تقدم في قوله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) آنفا فأطلق على ذلك الإيواء فعل (ينال) على سبيل الاستعارة . وجعلت الرحمة بمنزلة الآلة للنيل كما يقال : نال الثمرة بمحجن فالباء للآلة . أو جعلت الرحمة ملابسة للنيل فالباء للملابسة والنيل هنا استعارة وقد عمدوا إلى هذا الكلام المقدر فنفوه فقالوا (لا ينالهم ا برحمة) .

وهذا النظم الذي حكي به قسمهم يؤذن بتهكمهم بضعفاء المؤمنين في الدنيا وقد أغفل المفسرون تفسير هذه الآية بحسب نظمها .

وجملة : (ادخلوا الجنة) قبل مقول قول محذوف اختصارا لدلالة السياق عليه وحذف القول في مثله كثير ولا سيما إذا كان المقول جملة إنشائية والتقدير : قال لهم ا ادخلوا الجنة فكذب ا قسمكم وخيب ظنكم وهذا كله من كلام أصحاب الأعراف والأظهر أن يكون الأمر في قوله : (ادخلوا الجنة) للدعاء لأن المشار إليهم بهؤلاء هم أناس من أهل الجنة لأن ذلك الحين قد استقر فيه أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار كما تقتضيه الآيات السابقة من قوله (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) إلى قوله ؟ (القوم الظالمين) فلذلك يتعين جعل الأمر للدعاء كما في قول المعري : .

ابق في نعمة بقاء الدهور ... نافذا لحكم في جميع الأمور A E